خطبة صلاة الجمعة 28/ 12/ 2018 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(صلتك أنت برسول الله صلى الله عليه وسلم)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلا كَبِيرًا ، وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا﴾ [الأحزاب 45].

روى الإمام البخاري عن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال: «لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة. فقال: أجل، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخّاب في الأسواق -يعني صخّاب- ، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح به أعينا عميا ، وآذانا صُمّا ، وقلوبا غُلْفا»

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب 21].

أيها الإخوة:

جاءت سلسلة الخطب في شهر ربيع شهر ولادة سيدنا محمد بعنوان: صلة علمائنا برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لنزداد له محبةً ولنجتهد به اقتداءً ولنكثر عليه صلاةً، صلوات ربي وسلامه عليه.

تحدثت الخطب عن صلة الصحابة الكرام برسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلة المحدثين والفقهاء والمزكين واللغويين والمفسرين والمفكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم، وتصل السلسلة اليوم إلى خاتمتها وهي واسطة عقدها، عنوان خطبة اليوم: **صلتك أنت برسول الله صلى الله عليه وسلم**

أيها الإخوة:

إذا كان كبار الأمة من الصحابة الكرام ثم من محدثيها ومزكيها، وفقهائها ومفسريها، ولغوييها ومفكريها مشوا وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحبوه واشتاقوا إليه، هابوه وتأدبوا معه، أطاعوا أمره وتأسوا به، نافحوا عن سنته واحتكموا إليها، أكثروا ذكره والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

فما حالك أنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

وما صلتك أنت برسول الله صلى الله عليه وسلم؟

هل تمشي وراء الكبار أو وراء غيرهم؟

هل تسير على دربهم أو على درب مخالفيهم؟

هل تنهج نهجم فتلحقُ برتبهم في الحب والصلة. أو تتخذُ لنفسك نهجا بعيدا عن نهجهم؟

هل تكون مثلَهم أو شبهَهم؟

فتشبّهوا إنْ لم تكونوا مثلَهم إنّ التشبهَ بالكرامِ فلاحُ

إنّ الهدف الحقيقي من وراء هذه الخطب أنت، وإنّ بيتَ القصيد فيها أنت. وقد كررت عليك القول في خاتمة كل خطبة منها:

إذا كان هذا حال أؤلئك الأعلام فما عسانا نفعلُ لنزدادَ قربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلقا به؟

أقترح عليك أربعة أمور:

1- اقرأ شيئاً من حديثه صلى الله عليه وسلم وسيرته واحفظ شيئاً من الحديث.

2- الزم ورداً يومياً بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، واحضر مجلساً للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مرة كل أسبوع.

3- طبِّق ما استطعت من سنته.

4- اصحب من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما قراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته وحفظ شيء من الحديث: فحسبك أنها تزيد معرفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فتزيد محبتك به، وقد أنشد بعض أهل الحديث يقول:

لم أسعَ في طلبِ الحديثِ لسُمعةٍ أو لاجتماعِ قديمِه بحديثِهِ

لكنْ إذا فاتَ المحبَّ لقاءُ مَنْ يهوى تَعلّلْ باستماعِ حديثِه

(وإذا كانت سعادةُ العبد في الدارين معلقةً بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، فيجِب على كلّ مَنْ نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه مَا يَخْرُجُ به عن الجاهلين به، ويدخل به في عِداد أتباعه وشِيعته). كما في مقدمة زاد المعاد.

ثم إنك بقراءةِ حديثِهِ صلى الله عليه وسلم وسيرتِه والعملِ بما فيهما تدخل في نظره الشريف صلى الله عليه وسلم ولا يضيّعك الله، جاء في طبقات الشافعية الكبرى : مرض الإمام أبو سهل محمد بن سليمان العجلي ، وكان من أهل الحديث ، فحكى أبو نصر الواعظ قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام مع أصحابه قاصداً لعيادة الأستاذ أبي سهل ، قال: فتبعته ودخلت عليه معه وقعدت بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم متفكراً فقلت: إنّ هذا إمام أصحاب الحديث وإن مات أخشى أن يقع الخلل فيهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي: (لا تفكّر في ذلك ، إنّ الله لا يضيع عصابة أنا سيدها).

فبقراءتك الحديث والسيرة والعمل بما فيهما تدخل في جماعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يضيّعك الله.

أما حفظك لشيء من حديثه صلى الله عليه وسلم فتأخذ به حظك من ميراث النبي صلى الله عليه وسلم، عن سليمان بن مهران: بينما ابن مسعود يوماً معه نفر من أصحابه، إذ مرّ أعرابي فقال: على ما اجتمع هؤلاء؟ قال: ابن مسعود: «على ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقتسمونه»

وفي حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادةَ قرب منه صلى الله عليه وسلم وتنشيط للذاكرة وتقوية للنطق بالعربية ومعرفة بالأحكام الشرعية.

ولعلك تجد صعوبةً في حفظ الحديث فأخبرك أنّ بعضَ الأحاديث مؤلفٌ من كلمة وبعضها من كلمتين أو ثلاث أو أربع أو خمس، جاء في صحيح البخاري:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تغضب**»

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**العين حق**»

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الحرب خدعة**»

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المرء مع من أحب**»

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أتموا الركوع والسجود**»

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اتق دعوة المظلوم**»

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يجمع بين المرأة وعمتها**»

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أحب الحديث إلي أصدقه**»

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يدخل الجنة قتات**»

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**»

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أقيموا صفوفكم وتراصوا**»

فبادر إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته قراءة ودراسة وحفظا، وفي دورة فاتبعوني عون كبير لك على ذلك.

وأما محافظتك على وردٍ يومي من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومجلس أسبوعي فيه: فذلك سبب لدوام محبة المسلم للرسول صلى الله عليه وسلم وزيادتِها وتضاعفِها، لأنّ العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب، واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبةِ لحبه، تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه.

وإذا أعرض عن ذكره وإحضار محاسنه بقلبه، نقص حبه من قلبه، والحس شاهد بذلك.

روى النسائي عن عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبُشْرَى فِي وَجْهِهِ فَقُلْنَا: إِنَّا لَنَرَى الْبُشْرَى فِي وَجْهِكَ؟ فَقَالَ: «**إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا**».

وأما تطبيقك ما استطعت من السنة: ففي تطبيق سنته صلى الله عليه وسلم موافقتُه، وفي الموافقة المرافقةُ. ومن الزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره ونواهيه وأفعاله وأخلاقه

فمهما التزم أحدنا بالسنة في طعامه وشرابه وبيعه وشرائه ووئامه وخصامه ويسره وعسره فقد التزم طريق الحق وسلك جادة الهدى، ومن أقام بمنزلة اتباع السنة ثبتت له النسبة والصلة برسول الله صلى الله عليه وسلم، وحصلت له المعرفة بالله وأصابته الرحمة وأُكرم بالجنة وجمعه الله فيها مع النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما صحبة من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإن صحبتهم تزيد محبة النبي صلى الله عليه وسلم في قلبك، لأن الحب يعدي والمرء على دين خليله، وحال هؤلاء يسري في مُجَالِسِهم.

روى القاضي عياض في كتابه الشفا قال مصعب بن عبد الله: (كان مالك إذا ذُكرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له يوماً في ذلك فقال: لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون!

ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر –وكان سيد القرّاء– لا نكاد سأله عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد –وكان كثير الدعابة والتبسم– فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر، وما رأيته يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة، ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكرُ النبيَ صلى الله عليه وسلم فيُنْظَرُ إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه، هيبة منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولقد كنت آتي عامرَ بنَ عبد الله بن الزبير فإذا ذُكِرَ عنده النبيُّ صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع، ولقد رأيتُ الزهريَّ –وكان من أهنإ الناس وأقربهم– فإذا ذُكِرَ عنده النبيُّ صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته، ولقد كنت آتي صفوانَ بنَ سُلَيم وكان من المتعبدين المجتهدين، فإذا ذُكِرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه).

فلمّا صحبَ مالكٌ هؤلاء الكبار علّموه الحب والأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونقل الذهبي أنّ أبا داود صاحب السنن، كان يُشَبَّه بأحمد بن حنبل في هديه (حسن سيرته) ودلّه (حسن هيئته) وسمته (حسن طريقته ومذهبه في الدنيا والدين) ، وكان أحمد يُشَبَّه في ذلك بوكيع، وكان وكيع يُشَبَّه في ذلك بسفيان ، وسفيان بمنصور ، ومنصور بإبراهيم ، وإبراهيم بعلقمة ، وعلقمة بعبد الله بن مسعود، وقال علقمة: كان ابن مسعود يُشَبَّه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم: في هديه ودله.

فصحبة هؤلاء الأعلام لمن أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم علّمتهم التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في هديه ودله وسمته.

ولعلك في صحبة مَن أحبّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنْ تدعم مدارس تعليم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانتساب إليها أو بإشادتها أو بتمويلها.

فكم من مدرسة في الشام وغيرها تعلّم حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكم من حلقةٍ من حلقات حفاظ وحافظات الحديث النبوي الشريف وكم من دار للحديث وكم من مجلس علم يدرّس حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكم من معهد شرعي وثانوية شرعية وكليّة شرعية تخرج أصحاب الشهادات والكفاءات الذين يذودون عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فكن مُنشأً لواحدة من هذه المؤسسات أو داعماً لها أو منتسباً إليها.

فإني قرأتُ قولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم **«ما لأحدٍ علينا يدٌ إلا وقد كافأناه عليها ما خلا أبا بكر»** [الترمذي]، فلعلك تُقدّم خدمةً للسنة الشريفة فيكافئُك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة:

هذه الأربعة تزيد صلتَك أنتَ برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي النتيجة العملية المأمولة من كلّ منّا ليكون احتفالنا بالمولد واحتفاؤنا برسول الله صلى الله عليه وسلم احتفالاً مثمراً واحتفاءً مؤثّراً.

1- اقرأ شيئاً من حديثه صلى الله عليه وسلم وسيرته واحفظ شيئاً من الحديث.

2- الزم ورداً يومياً بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، واحضر مجلساً للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مرة كل أسبوع.

3- طبّق ما استطعت من سنته.

4- اصحب من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب 56].

والحمد لله رب العالمين